

تفريغ المحاضرة بعنوان:

"مكانة العلماء وخطورة الاستقلال عنهم"

ألقاها:

فضيلة الشيخ فواز بن علي المدخلي

حفظه الله (هاتفيا)

موجهة إلى طلاب العلم في معهد (منهاج الأثر) جمبر، جاوى الشرقية، إندونيسيا

وإلى جميع السلفيين في إندونيسيا

بتاريخ: ٢٦ جمادى الأولى ١٤٤٣ ه (الموافق ٣١ ديسمبر ٢٠٢١ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

بادئ ذي بدء، أشكر الله ﷻ على توفيقه وتسديده وإعانته في إقامة هذا اللقاء وهذه السلسلة الطيبة المباركة والتواصل عبر هذه الوسيلة.

ثم أشكر القائمين على هذا المعهد، معهد « **منهاج الأثر** » بجمبر، جاوى الشرقية، وعلى نشاطهم وتنسيقهم الجميل، وعلى رأسهم الشيخ لقمان باعبده وجميع الإخوة الذين نسقوا وتكلفوا، فجزاهم الله خيرا وبارك في جهودهم. ثم أشكر الإخوة الحاضرين على حضورهم والاستماع لهذه النصيحة والكلمة التي أسأل الله ﷻ أن ينفعني بها أولا، وأن ينفع بها السامعين. فجزى الله الجميع خيرا على ما قاموا به. وهذا من باب التعاون على البر والتقوى، ومن باب نشر العلم.

ولا يخفى على كل مسلم أن العلم مهم ، وأنه قد وردت فيه آيات كثيرة وأحاديث كثيرة من السنة على فضله ومكانته . وأن كل إنسان يدعيه لنفسه ، حتى الجاهل لا يرضى أن يقال عنه جاهل ، ويفرح إذا قيل عنه أنه عالم حتى وهو ليس بعالم . وهذا دليل على أهمية العلم وشرف المنتسب إليه وشرف أيضا حامله .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ، ويفرح به إذا نسب إليه ، وكفى بالجهل ذما أن يتبرأ منه من هو فيه » .

وهذا الأمر حاصل وواقع عند المسلمين جميعا . فالمسلم يفرح – وإن كان جاهلا – أن يقال له عالم . ولهذا جاء في القرآن الكريم الثناء على أهل العلم والعلماء: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩]

وقوله عز وجل : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨] . فقرن سبحانه بين شهادة أولي العلم والملائكة بشهادته تبارك وتعالى .

ولما عرف السلف الصالح أهمية العلم تكلفوا في طلبه، وعانوا من أجله، ورحلوا في تحصيله. فهذا قَيْسِ بْنِ كَثِيرٍ قال: قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ على أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَهُوَ بِدِمَشْقَ، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ، أَيْ أَخِي؟

فقَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ به عَنْ رَسُول الله ﷺ؟ قَالَ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: مَا جِئْتُ إِلاَّ فِي طَلَبِ هَذَا الحَدِيثِ؟

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ به طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّة، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[1]

وجاء أيضا عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

---

1 أخرجه الترمذي ٢٦٨٢، وأبو داود ٣٦٤١، وأحمد ٢١٧١٥، واللفظ للترمذي. صححه العلامة الألباني رحمه الله.

رَجُلاَن أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « **فَضْلُ العَالِـمِ عَلَى العَابِد كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**».[2]

وجاء أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[3]

وكلمة «**مسلم**» يدخل فيه الرجل والمرأة، وأما إضافة كلمة (مسلمة) في حديث "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" فهي إضافة لم تثبت عن النبي ﷺ. فالمعنى: «**على كل مسلم**» يشمل الذكر والأنثى.

فأقول: إذا عُلم هذا، فإن للعلم فضل عظيم، ودرجة عظيمة عند الله عز وجل، والمسلم يحتاجه في حياته، بل لا يقوم أمر دينه إلا بالعلم.

وحقيقة كلمة التوحيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، لا تقوم إلا على قاعدتين: ألا يُعبد إلا الله، وألا يُعبد الله

---

٢ أخرجه الترمذي ٢٦٨٥، صححه العلامة الألباني رحمه الله في تخريج المشكاه ٢١٣.

٣ أخرجه ابن ماجه ٢٢٤، صححه العلامة الألباني رحمه الله في تخريج مشكلة الفقر (٨٦)

إلا بما شرع رسول الله ﷺ.

فهذه حقيقة كلمة التوحيد. فإذا أردنا أن نحقق كلمة التوحيد، لا بد أن نبذل العلم الشرعي الذي نحتاجه لتحقيق هذه الكلمة.

ولذلك كان العلم قبل القول والعمل. وطلب العلم من العمل. وهذا المعنى ترجم له البخاري رحمه الله في «صحيحه»، فقال في كتاب العلم:

«باب: العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم. وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر. ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة.

وقال جل ذكره: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]

وقال: ﴿ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]

وقال: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك: ١٠]

وقال: ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]

وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»،

و «**إنما العلم بالتعلم**»

وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **لو وضعتم الصمصامة على هذه – وأشار إلى قفاه – ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تُجِيزُوا علي لأَنْفَذْتُها.**

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كونوا ربَّانيين: حلماء فقهاء. ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره» اهـ

وفضل العلم لا يخفى على أحد. بل من قرأ القرآن الكريم من أوله إلى آخره وجد أن الآيات تتحدث عن العلم وتحث عليه، سواء كان بطريق مباشر أو غير مباشر. فالقرآن كله علم، وكله توحيد، وكله حِكم وأحكام.

وكذلك السنة وسيرة الرسول ﷺ، وسيرة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وجد الأحاديث الكثيرة التي تشجعه وتشجع المسلم على طلب العلم والحرص على تلقيه وعلى تحصيله.

ومن هنا، سعى العلماء إلى الوصول إلى هذه الدرجة العالية، وهي تحصيلهم لهذا العلم، العلم الشرعي، فالعلم إذا أطلق معناه العلم الشرعي التي جاءت في فضائله الأدلة.

فأقول: على أن أهل العلم سعوا في تحصيل هذا العلم، وبذلوا الغالي والرخيص، وبذلوا الجهد الذي يشق علينا في هذا الزمن، وتفرغوا له، وحصلوه تحصيلا قويا. ومن هنا جاءت أيضا ووردت أدلة كثيرة في فضائل هؤلاء العلماء الربانيين.

يقول تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩]

ولعلنا نذكر بعض فضائل هؤلاء العلماء:

۞ [أولا]: فمن فضائلهم: **أنه لصبرهم وتقواهم كانت لهم الإمامة في الدين.**

فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]

ففي هذه الآية بين لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام أن الله اصطفاه عليهم ونوه إلى اتصافه بالبسطة في العلم في الجسم. فبدأ بالبسطة في العلم قبل البسطة في الجسم. وختم الآية: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ففي هذه الآية إشارة على أن البسطة في العلم والجسم من أوصاف القائد المسلم.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤]

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«جعل الْإِمَامَة فِي الدّين موروثة عَن الصَّبْر وَالْيَقِين بقوله فِي السَّجْدَة ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤] فَإِن الدّين كُله علم بِالْحَقِّ وَعمل بِهِ، فَالْعَمَل بِهِ لَا بُد فِيهِ من الصَّبْر، بل وَطلب علمه يحْتَاج إِلَى الصَّبْر. كَمَا قَالَ معَاذ بن جبل: عليكم بِالْعلمِ! فَإِن طلبه لله عبَادَة، ومعرفته خشيَة، والبحث عَنهُ جِهَاد، وتعليمه لمن لَا يَعلمهُ صَدَقَة، ومذاكرته تَسْبِيح، بِهِ يعرف الله ويعبد، بِهِ يمجد ويوحد، يرفع الله

بالْعلم أقوما، يجعلهم للنَّاس قادة وأئمة يَهْتَدُونَ بهم وينتهون إِلَى رَأْيهمْ.

فهنا ذكر معاذ بن جبل أن البحث عن العلم من الجهاد، والجهاد لا بد فيه من الصبر. ولهذا حث الله ﷻ على الصبر في قوله تعالى في سورة العصر:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

وقال تعالى في سورة ص: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥﴾ [ص: ٤٥]

فالعلم النافع هو أصل الهدى، والعمل بالحق هو الرشاد.

وقال تعالى أيضا في سورة النجم: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ١، ٢]

فلا يُنال الهدى إلا بالعلم، ولا يُنال الرشاد إلا بالصبر.

ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا إنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة

الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له » » اهـ[4]

۞ [ثانيا]: ومن فضائل ومكانة العلماء: **أن طاعتهم من طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة الرسول ﷺ.**

قال الله تبارك تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]

و«أولي الأمر» هنا، هم الأمراء والعلماء. فطاعة العلماء تبع الله لطاعة الله ورسوله ﷺ. وطاعة الأمراء كذلك، تبع لطاعة العلماء.

وما معنى طاعتهم؟ بمعنى اتباع أقوالهم، لأنهم أخذوا أقوالهم من الكتاب والسنة.

ومن هنا لا يجوز على طالب العلم أن يُشَغِّبَ على أهل العلم ويتخذ وسائل وطرقا تشابه طرق أهل البدع، كالحلبية، والمأربية، والإخوان

---

٤ مجموع الفتاوى ١٠/٣٩-٤٠

المسلمين، والتبليغ، والمصعفقة وغيرهم. لا يتخذ ما اتخذوه من شعارات ومن سبل للتشغيب على هؤلاء العلماء، لأنهم ينفرون عن أهل العلم ويحثون الناس على عدم طاعتهم.

فيطعنون في بعض مصنفاتهم -مثلا-، أو يشغبون حولها بما يقتضي إسقاط اعتبارها عند طلاب العلم خصوصا أو الناس عموما، أو يدسون من يستزلهم بالغلطات، أو يتتبع زلاتهم، وينشرها أمام الناس، أو يغمزهم ويلمزهم في المجالس، لا سيما عند أهل الجهل والحاقدين على السنة وأهلها، وينفرون من مجالسهم مجالس الخير والعلم والسنة، فهذا هو التشغيب عندهم.

ومنها أيضا، إظهار الامتعاظ بذكر العالم والطعن والتشغيب فيهم بالحركة أو التهوين بشأنهم أو التشغيب على بعض الفتاوى الشرعية واستنقاصها أمام العوام لأنهم أَوْلَعُ الناس بالتشغيب، فالغوغاء يحبون التشغيبات على أهل السنة، فهو يشغب أمامهم ويهون من شأن أهل العلم وطلاب العلم، ويستخدم منابر الخير ووسائل التواصل في التنفير عن أهل الخير عليهم بالهمز واللمز والطعن فيهم والادعاء عليهم بما لا يصح عنهم.

وغيرها كثير مما يتبعه أهل الأهواء ولا يزال في جعبتهم الكثير والكثير

من هذه الوسائل الشيطانية. فالتشغيب لا يجوز على أهل العلم، لأن هذا صد عن سبيل الله وصد عن سبيل الهدى، وإعانة للشيطان على أهل السنة، فهو قد مال ووقف في صف الشيطان. وسبب هذا: الحسد والهوى وهذان الأمران والداءان تجدها عند كثير ممن يدعي السلفية.

والهوى هو الذي يهوي بصاحبه إلى مسالك غير محمودة، ويبعدهم عن طريق أهل العلم وطريق أهل الصلاح وطريق أهل الخير. وهو طريق مذموم بائس، وقد حذر العلماء من هذه الطرق، وبذلوا نفائس أوقاتهم في التحذير من هذه الطرق، لأنهم يعرفون خطرها وضررها على الدعوة.

ولذا ينبغي لنا أن ننتبه أيها الإخوة إلى أن الاستقلال عن العلماء بداية الانحراف وبداية الشتات وبداية الضياع. فيبدأ طالب العلم بالاستقلال عن العلماء ويلبس هذا الاستقلال بالنصح والنصيحة والغيرة على الدعوة السلفية ثم يبدأ في اتباع خطوات الشيطان حتى يستقل. فإذا استقل فإنه يضيع ويهلك ولا شك في ذلك.

ثالثا: من فضائل أهل العلم ومكانتهم: أن الرد إليهم عند نزول النوازل لما خصهم الله به من القدرة على الاستنباط.

أي: أن الله ﷻ أعطاهم ما لم يعط الآخرين، فأعطاهم الله القدرة على الاستنباط، كما قال الله تبارك الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣]

ففي هذه الآية يجب الرجوع إلى أهل العلم وعدم الاستقلال عنهم وخاصة في النوازل وترك التقدم عليهم والرجوع إلى أهل الرأي، وهم أهل العلم لأن الله أعطاهم ما لم يعط الآخرين من الفقه في الدين.

۞ رابعا: من فضائلهم ومن فضلهم: **أنه قرنت شهادتهم بشهادة الله تعالى والملائكة.**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

[آل عمران: ١٨]

۞ خامسا: ومن فضلهم: **أن اتباعهم يهدي إلى الصراط المستقيم.**

قال تبارك تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ [مريم: ٤٣]

والصراط السوي هو الصراط المستقيم الموصل إلى الجنة. وقال تبارك وتعالى أيضا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

وجاء في حديث عبد الله بن مسعود قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

خطًّا ثم قَالَ: «**هَذا سَبيلُ اللَّهِ**»، ثُمَّ خطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِه وَعَنْ شِمَالِه ثُم قَالَ: «**هَذه سُبُلٌ متفرقة عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثُمَّ قرأ "﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ". [٥]

سادسا: من فضائلهم ومن وفضلهم: **أنهم ورثة الأنبياء.**

كما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضاً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٦]

قال أبو حاتم ابن حبان رضي الله تعالى عَنْهُ: «فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ

٥ أخرجه أحمد ٤١٤٢، صححه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (١٦) و(١٧).

٦ أخرجه الترمذي ٢٦٨٢، وأبو داود ٣٦٤١، وأحمد ٢١٧١٥، واللفظ للترمذي. صححه العلامة الألباني رحمه الله.

وَاضِحٌ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ لَهُمُ الْفَضْلُ الَّذِي ذَكَرْنَا هُمُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ عِلْمَ النَّبِيِّ ﷺ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: "الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ" وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَرِّثُوا إِلَّا الْعِلْمَ وَعِلْمُ نَبِيِّنَا ﷺ سُنَّتُهُ فَمَنْ تَعَرَّى عَنْ مَعْرِفَتِهَا لم يكن من ورثة الأنبياء» .[7]

سابعا: [من فضائلهم ومن فضلهم]: أنهم ممن أراد الله عز وجل بهم الخير.

فعن معاوية رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» .[8]

فالعالم ممن أراد الله به خيرا . والعلماء ثلاثة: عالم بالله وبأمره ، عالم بالله غير عالم بأمره ، عالم بأمره غير عالم به .

ثامنا: من فضائلهم ومن فضلهم: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين يصلون على معلمي الناس الخير.

كما جاء في الحديث ، حديث أبي أمامة الباهلي قال: ذُكِرَ لِرَسُولِ

---

٧ انظر «صحيح ابن حبان» تحت حديث (٨٨)

٨ أخرجه البخاري ٧١، ٧٣١٢؛ ومسلم ١٠٣٧.

اللهِ ﷺ رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**فَضْلُ العَالمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**» . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**» . [9]

وهذا فيه فضل عظيم وحث على طلب العلم ونشره بين الناس ليحصل على هذا الأجر العظيم .

۞ [تاسعا:] ومن فضائل أهل العلم: **أن العالم لا ينقطع عمله ما بقي علمه ينتفع به الناس، حتى لو مات وبقي علمه فإنه يصله الأجر.**

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: « **إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** » . [10]

ومن هنا فإنه يجب علينا الرجوع إلى أهل العلم عند نزول النوازل وطلب حكمها ، وعدم الاستقلال عنهم ،

[9] أخرجه الترمذي ٢٦٨٥، صححه العلامة الألباني رحمه الله في تخريج المشكاه ٢١٣.

[10] أخرجه مسلم ١٦٣١.

فإن الاستقلال عن أهل العلم:

- **فيه شر مستطير**
- **وفيه ضرر عظيم على الدعوة إلى الله ﷻ،**
- **وفيه زيادة تفرقة بين المسلمين،**
- **وفيه سوء أدب مع أهل العلم، فإن كان عنده إشكال فليرجع إلى أهل العلم وهم بإذن الله سيزيلون هذا الإشكال.**

ومن ذلك (أي: الاستقلال عن أهل العلم):

- **يحصل الذل والهوان على الأمة.**

كما جاء عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[11]

ولا طريق للناس إلى الرجوع إلى الدين إلا بالعلماء. فإذا أضاعوا حق العلماء وفضلهم ومكانتهم، وزهدوا فيهم وابتعدوا عنهم واستقلوا عنهم، اتخذ الناس رؤوسا جهالا يرجعون إليهم. وهنا تحصل الطامة الكبرى.

---

١١ أخرجه أبو داود ٣٤٦٢. صححه العلامة الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١١)

الدين مرتبط بأهل العلم، أهل التقوى الراسخين في العلم. فإذا أسقط العلماء بأي وسيلة، سواء بالهمز واللمز أو الابتعاد عنهم أو الاستقلال، فإنه تحصل الفرقة ويحصل الذل والهوان ويتخذ الناس رؤسا جهالا يعودون إليهم. وبهذا يكون هذا المستقل سببا في الصد عن سبيل الله ويعتبر مشاقا لله ﷻ، لأن الخروج عن سبيل المؤمنين أمر توعد الله ﷻ أصحابه بالنار. ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾ [النساء: ١١٥]

كذلك يحصل الخلاف بين طلاب العلم، فيكون هذا سببا في نفرة العوام من طلاب العلم. قال تعالى: ﴿ **فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣** ﴾ [النور: ٦٣].

فلا بد من إكرام العلماء وطلاب العلم وحفظ حقوقهم وعدم إيذائهم.

- أيضا من الأضرار: **موافقة أهل البدع وأهل الأهواء ومشابهتهم، فإن من طرقهم الخبيثة استنقاص العلماء وطلاب العلم.**

فانظر إلى الخوارج وإلى جميع الفرق القديمة والحديثة كيف أنهم

ينتقصون أهل العلم وينفرون الناس منهم .

وهكذا لا تجد جماعة ولا فرقة إلا وهي تخالف الصراط المستقيم ، وتخرج عن سبيل المؤمنين . فالحذر الحذر من مشابهتهم وتقليدهم في هذا الأمر .

- أيضا من الأضرار: **وقوع الناس في الضلال والخروج عن صراط الهداية .**

فالناس سيتخذون رؤوسا جهالا بدلا من العلماء، فيسألونهم ويفتونهم بغير علم فيضلوا ، فيكون هذا سببا في بعد الناس عن طريق الهدى .

قال رسول الله ﷺ :**«إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا ، فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا ، وَأَضَلُّوا»**[١٢]

محل الشاهد: (**فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا**) . فانظر كيف حكم عليهم بالضلال والإضلال .

---

١٢ أخرجه البخاري ١٠٠، ومسلم ٢٦٧٣.

ولهذا أختم هذه الكلمة بنصيحة أخوية:

"نحن طلاب العلم يجب أن يحصل بيننا تآلف وتآخي وتواصل وتناصح، وأن نمتثل لكلام العلماء الربانيين وأن لا نستقل عنهم، فإنه مهما بلغنا من العلم فإن العلم الذي عندنا لا يساوي شيئا عند هؤلاء الراسخين من العلم، مهما حسَّن لنا الشيطان وزين لنا الشيطان ما عندنا من العلم، فإنه لا يساوي شيئا مما عند هؤلاء العلماء من الحكمة ومن بعد النظر ومن فهم الواقع وغير ذلك.

فينبغي لنا أن نرجع إليهم وأن لا نبتعد عنهم وننشر علمهم. فهذا هو الواجب علينا، وهو من الوفاء ومن البر لأهل العلم لأنهم هم الأدلاء الذين أدلونا على طريق الجنة. فنحمد الله ﷻ ونشكرهم على هذا الصنيع وننشر علمهم وندعو لهم في السر والعلن ونذكر فضلهم ولا نحقرهم، ولا نطعن فيهم بأي وسيلة من الوسائل."

أسأل الله ﷻ أن يصلح أحوالنا جميعا ، وأن يعيذنا شر أنفسنا ، وأن يمن علينا بالهداية والتوفيق وبالعلم النافع والعمل الصالح . واشكر الاخوة الذين قاموا بتنسيق هذه الكلمة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قام بتفريغه: قسم تفريغ الدروس والمحاضرات العلمية في معهد منهاج الأثر بجمبر إندونيسيا

١ جمادى الآخرة ١٤٤٣ هـ (٤ يناير ٢٠٢٢ م)